حسن الصفار

مسئولية الشباب

الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
دار البيان العربي – بيروت – لبنان

– الشباب محاولة فهم

قبيل السنة الخامسة عشر من العمر، يقبل الإنسان على مرحلة مهمة وخطيرة في حياته، هي مرحلة الشباب، والتي تستمر مع الإنسان إلى عشرين أو خمس وعشرين سنة تقريباً.

هذه المرحلة هي (مرحلة الشباب) مرحلة مهمة وخطيرة.

لماذا مهمة وخطيرة؟؟

مهمة لأنها تتحكم في مصير الأمة ومستقبلها، فهؤلاء الشباب الناشئون اليوم، هم بالتأكيد مجتمع الغد.

هذا الجيل الموجود حالياً، سيترك مكانه لهم بكل مناصبه وطبقاته..

سيترك مكانه للجيل القادم، للجيل الجديد، وهم صغار اليوم وشباب الوقت الحاضر..

فالعالم الديني اليوم ليس هو عالم الغد، حتماً سيترك مكانه، وسيأتي شخص آخر من بين هؤلاء الأبناء الشباب ليحل محله..

ومختار المنطقة الآن لن يكون هو مختارها في المستقبل، بل لابد وأنه سينتهي دوره، ويموت، ويترك مكانه لشخص آخر .

وكذلك رئيس البلدية والحاكم والأمير والوزير والتاجر..

هذه هي طبيعة الحياة وهذا هو طريقها، يذهب أناس ويأتي بعدهم قوم آخرون..

هؤلاء الآخرون الذين سيستلمون أزمة المجتمع في المستقبل من هم ؟؟

إنهم شباب اليوم، هؤلاء الشباب الصغار الآن سيكونون غداً المجتمع..

لقد جمع الإمام الحسن بن علي) عليه السلام (أولاده وأبناء أخيه ذات يوم وقال لهم: ((يابني وبني أخي إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته)) [1]

فإذا كان شبابنا اليوم صالحين ومستقيمين أمكننا أن نتفاءل بمستقبل جيد لأمتنا ومجتمعنا. وإذا لم يكونوا صالحين ولم يسيروا على الطريق المستقيم فهذا يعني أن المستقبل قد يكون سيئاً قاتماً.

وكما يقول الشاعر:

يا شباب الإسلام يا أمل الشعب   وغصناً يلفه الأخضرار

---

[1] الميلاني : قادتنا كيف نعرفهم / ج٥ – ص٢٩٧.

إن يك اليوم عذركم صغر سن فغداً أنتم الرجال الكبار
سوف يمضي الجيل القديم رويداً كله أشقياؤه والخيـــار
وتكونون أنتم قادة العصـــــر فهل فيكم يصح المسار[1]

فمرحلة الشباب مرحلة مهمة لأنها تحدد مستقبل الأمة، مستقبل المجتمع.. ومن هنا جاء الاهتمام والتركيز على أهمية هذه الفترة، في النصوص الدينية كقوله صلى الله عليه وآله وســـلم: ((إن العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه)) [2]

وهي مرحلة خطيرة، لأن الشباب يعيش فيها وضعاً خاصاً من الناحية الجسمية والفكرية والاجتماعية..

هذا الوضع الخاص الذي يعيشه الشاب في مرحلة الشباب، إما أن يكون ضمن جـــو صالح وتوجيه سليم، فيتجاوز الشاب هذه المرحلة وهو عنصر جيد فعّال، تستفيد الأمة مـــن وجوده ونشاطه، وإلا أصبح عنصر فساد وإفساد يدمر نفسه، ويدمر مجتمعه..

مميزات مرحلة الشباب

تمتاز مرحلة الشباب بعدة سمات ومميزات تتوفر في شخصية الشاب من جميع نـــواحي حياته..

الناحية الجسمية:

في مرحلة المراهقة والشباب، يعلن جسم الإنسان عن وصوله إلى مستوى من النـــضج والاكتمال، حيث يأخذ الجسم هيكله الخاص، وتتوفر فيه القوة، ويضفي عليه قوامـــه جمـــالاً ورشاقة طبيعية.. ومن هذه الناحية يعبر القرآن الكريم عن مرحلة الشباب بمرحلة القوة، قال الله تعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة، يخلق الله ما يشاء وهو العليم القدير}. [3]

---

[1] **من قصيدة للمؤلف في إحدى المناسبات.**

[2] **مرتضى فريد : روايات من مدرسة أهل البيت (ع)/ ج١ ص٣٥٥.**

[3] **سورة الروم / ٥٤.**

فيأتي الإنسان إلى الحياة طفلاً صغيراً ضعيفاً لا يستطيع أن يكش الذباب عن وجهه، ثم يتجاوز مرحلة الضعف) الطفولة (إلى مرحلة الشباب حيث القوة والنشاط، ثم يستولي عليه الضعف مرة أخرى حينما يدخل مرحلة المشيب والشيخوخة.

وفي مرحلة الشباب تتفجر لدى الإنسان غريزته الجنسية، حيث يعيش الشاب ضغطاً داخلياً ودفعاً غريزياً مستمراً لإشباع هذه الغريزة وإروائها.

في المجال الاجتماعي:

بعد أن تجاوز فترة الطفولة حيث كان صغيراً يخضع لأوامر الكبار، وليس له رأي ولا يمتلك دوراً، أصبح الآن شاباً يستشعر في نفسه القوة، وتملأ جوانحه الثقة بذاته.. فيبدأ بالتفتيش عن دور يمارسه في المجتمع.

إنه الآن ليس طفلاً، بل يشعر أنه رجل كامل الشخصية ويجب أن يلعب دور الكبار .

انتهى ذلك الوقت الذي كان يعامل فيه كطفل صغير، ينصاع لأوامر الكبار ويخضع لإرادتهم.. وأصبح هو الآن كبيراً له رأي يريد ممارسته، ودور يبحث عنه ليلعبه في المجتمع ويملأ به فراغه النفسي والزمني.

أما في الجانب النفسي:

ففي مرحلة الشباب تنشأ عند الشاب رغبة الرفض وروح التمرد، كنوع من رد الفعل للمرحلة السابقة التي كان يعيشها في طفولته) كما سبق (حينما كان ينصاع لإرادة أبويه، ويخضع لعادات مجتمعه دون أن يستطيع الاعتراض أو المخالفة.

فإذا كبر وأصبح شاباً قوياً أحب أن يمارس حقه في المعارضة والاستقلال.. من هنا تتكون عند الشاب روح التمرد وحب المعارضة والرفض.

وثمة ميزة نفسية أخرى تتصف بها نفسية الشاب في مرحلة الشباب والمراهقة.

وهي حبه للمغامرة واستعداده للتضحية.

يضحي.. لماذا ؟

لأنه لا يتشبث بالحياة كثيراً كالكبير.

فطبيعة الإنسان كلما طال بقاؤه في الدنيا، ازداد حرصه عليها وتشبثه بها.

أما الشاب باعتباره للتو قد نشأ في هذه الدنيا، فإنه لا يكون كثير الحرص عليها كالشيخ الكبير.

ومن الملاحظ في تصرفات الشاب: التهور والتطرف والمغامرة. أما الرجل الكبير فإنه يتحفظ ويتأنى في تصرفاته وأعماله.. فتجاربه تكسبه نوعاً من التحفظ والاتـــزان، وأيـــضاً فحرصه على الدنيا لا يسمح له بالمغامرة.

وكمثال بسيط على هذه الحقيقة لاحظ سياقة الشاب للسيارة وسياقة الرجل الكبير !!

ينقل أنه في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد قيل له: إن هناك شخصاً عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى عهد الرشيد.. فعمره يناهز المائة والثلاثين (١٣٠)عاماً.

فهو شخصية متحفية، أحب الرشيد أن يلتقي معه، فجاءوا إليه به محمولاً، وسأله الرشيد:

أأنت أدركت رسول الله؟

-أحنى الشيخ رأسه مشيراً: نعم.

هل سمعت حديث رسول الله؟

- نعم.

- هل تذكر شيئاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

- نعم.

فحدثني بحديث تحفظ به ذاكرتك عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الشيخ بصوت ضعيف جداً: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يـــوم يقـــول: ((يشيب ابن آدم وتشيب فيه خصلتان: الطمع والأمل)).

وأمسك الشيخ عن الكلام، فلا قدرة له على الاستمرار.

أمر له الرشيد بجائزة وهي مبلغ من المال وضع له على سريره ثم حملوه لإرجاعه إلى محله.

الرشيد يلاحظ أن شفتي الشيخ الصحابي كانتا تتحركان أثناء خروجه وكأنه يقول شيئاً.

أمر بإرجاعه فجاءوا به إلى جانب الرشيد، سأله قائلاً رأيت شفتك تتحرك عند الخروج كأنك قلت شيئاً.

قال الشيخ: نعم كنت أسأل الحاملين لي هل أن هارون الرشيد سيجعل ذلك جائزة ســـنوية يعطي مثلها كل عام حتى أزوره في مطلع كل سنة؟

فضحك الرشيد وقال: لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث الذي نقلتـــه: ((يشيب ابن آدم تشب فيه خصلتان: الطمع والأمل)).

هكذا يزداد طمع الإنسان في الحياة وأمله في الاستمرار فيها كلما تقدم بـــه العمـــر فيـــصبح متحفظاً متزناً في تصرفاته، بينما يكون الشاب مستعداً للتضحية والمغامرة، غير مبال بالأخطار.

وفكرياً:

يعاني الشاب غالباً في مرحلة الشباب والمراهقة من الفراغ الفكري وضعف الانتماء والانشداد.

ففي هذه المرحلة يتفتح عقل الإنسان، وتنفجر مواهبه ويبدأ بالتفكير الدقيق، فترتسم أمام ذهنه كثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام عن الحياة والمجتمع لابد له من تحصيل الأجوبة الصريحة عليها.

وهو لا يرى نفسه ملزماً بتقبل أفكار أهله وبيئته مادام يستشعر الثقة بنفسه ويحب ممارسة دور الرفض والمعارضة ويميل إلى تحمل الأخطار والمغامرات.

وبذلك الشاب مستعد لاعتناق أي فكرة جديدة مغرية مهما كانت خطيرة ومرهقة.

أما الكبير فله قناعات وأفكار يعيش الإيمان بها ويقدسه سنوات طويلة.. فهو لا يعـاني فراغـاً فكرياً ولا يشعر بالحاجة إلى عقيدة جديدة.. بل هو غير مستعد للتنازل عن فكرة طالما آمـن بهـا وقدسها سنيناً طويلة.

ولذلك نجد أن كل الرسالات والمبادئ إنما تقوم على أكتاف الشباب فهم الذين يسارعون إلى الإيمان بالأفكار الجديدة ويستعدون للتضحية في سبيلها.

فنبي الله إبراهيم (عليه السلام) مثلاً حينما طرح دعوته التوحيدية في المجتمـع، مـن الـذي استجاب له وتجاوب معه ؟

إن قومه يعيرونه بأتباعه والذين هم مجموعة من الشباب الفقراء كما يحكي عنهم ذلك القـرآن الحكيم حيث يقول تعالى:

{وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي}[1]

ونبينا محمد صلى الله عليه وآله إنما سارع إلى الإيمان برسالته جماعة من الشباب الصغار كعلي بن أبي طالب وبلال الحبشي وعمار بن ياسر وأمثالهم.

حتى أن شيوخ قريش اتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قد أفسد شبابهم وقالوا ذلك في شكواهم لعمه أبي طالب (عليه السلام) حيث قالوا ((إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وسـفه أحلامنـا وأفسد شبابنا)).

وتأكيداً لهذه الحقيقة يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

((وأوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة، إن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ ثم قرأ: { فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم}[2].

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

---

[1] **سورة هود / ٢٧.**

[2] **مرتضى فريد : روايات من مدرسة أهل البيت (ع) / ج١ ص٣٤٩.**

((إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته))[1].

كيف نستفيد من مرحلة الشباب

تلك هي أهم مميزات مرحلة الشباب، ومصدر خطورها وأهميتها.

وبالتوجيه الصالح وبالخطة السليمة يمكن الاستفادة من هذه المميزات واستغلالها في بناء الشخصية الإسلامية المطلوبة.. حتى يصبح شبابنا نسخة مشابهة لحيات الشباب الرساليين المجاهدين كعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، ومالك الأشتر وعلي بن الحسين الأكبر.

أما إذا أهملنا الشباب في هذه المرحلة الخطيرة أو أسأنا التعامل مع سماتهم ومميزاتهم الفكرية والنفسية، فقد نبتلى بجيل منحرف فاسد، يضل الطريق، ويضيع الهدف، ويحطم مستقبل الأمة.

والسؤال الآن هو:

كيف نستفيد من مرحلة الشباب، ونوظف مميزاتها لمصلحة الشباب وبناء شخصيته الرسالية، مما يجعله عنصراً فعالاً في تقدم المجتمع ودفع مسيرة الرسالة إلى الأمام ؟؟

سنتناول بالتفصيل كل مميزات مرحلة الشباب ووسائل توظيفها وتوجيهها لبناء الشخصية الإسلامية، لأبناء الأمة وجيلها القادم.

وسنرى كيف يمكننا استثمار كل ميزة من هذه السمات في الاتجاه الصحيح.

ضغط الشهوات فرصة لتقوية الإرادة

إذا كان أبناء الأمة يمتلكون إرادة قوية تتعالى على الشهوات وتقاوم الإغراءات.. فإن الأمة ستكون شامخة قادرة على مواجهة الأعداء ومقاومة المستعمرين.

وسوف لن تركع أمام إرادة الاستعمار.. ولن تخضع للظلم أو ترضى بالاستعباد.

والأمة إنما تتكون من مجموع الأفراد، فإن كان أفراد الأمة مائعين خانعين منقادين للإغراءات والشهوات، فإن موقف الأمة وتعاملها مع الأعداء سيكون مائعاً خانعاً.

---

[1] المجلسي : بحار الأنوار / ج٧٧ – ص٢٠٠.

أما إذا كان أفراد الأمة يمتلكون صلابة الإرادة، وقوة النفس، والقدرة على مقاومة الضغوط، فإن الأمة بأبنائها تستطيع المجابهة والتحدي، والوقوف بشجاعة ضد أطماع الأعداء وخطط الاستعمار.

ومرحلة الشباب فرصة جيدة ثمينة لتنمية الإرادة وتقويتها لدى أجيال الأمة لماذا؟

لأن إرادة الإنسان لا تتقوى بمجرد الوعظ والإرشاد، وإنما بممارسة التحدي، أو مقاومة الإغراء والضغوط.

فالشخص الذي يجد نفسه أمام إغراءات قوية وتحت ضغط شهوات عارمة، يمكنه أن يتربى عملياً على الصلابة والصمود، وأن ينمي إرادته بالممارسة الفعلية، وذلك حينما يتسامى على الإغراءات ويرفض الخضوع لضغط الشهوات.

والشباب في مرحلة الشباب يعيش فترة التجربة والتدريب والامتحان لإرادته وملكاته.

فإذا توفر له التوجيه السليم، والوعي الإنساني الصحيح، والأجواء الصالحة استطاع أن يجتاز هذه التجربة بنجاح، ويتخرج من هذا الامتحان بإرادة قوية ونفسية صلبة.

إن الشاب يعاني كثيراً من ضغط الشهوات، ويتعرض لإغراءات مرهقة قوبة.. ولكنه إذا تمكن من السيطرة على نفسه، والحفاظ على عرضه.. وقاوم كل تلك الإغراءات وتحدى ضغوط الشهوات الكبيرة الجامحة.. وخاصة في مجتمعاتنا حيث تتوفر أجواء الميوعة والفساد.. إذا تمكن الشاب من ذلك فهذا يعني امتلاكه لإرادة فولاذية، ونفس صامدة، تستطيع الأمة أن تعقد عليه آمال المستقبل.

وتطلق الأحاديث الشريفة على عزوف الشباب عن المغريات والمحرمات مصطلح التوبة والتي عندما تبرز روعتها في عفة الشباب واستقامته، يقول صلى الله عليه وآله وسلم ((التوبة حسنة لكنه في الشباب أحسن))[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: ((ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب))[2].

لماذا؟ لأن الشاب بإقلاعه عن المعاصي، وضبطه شهواته يمارس تحدياً قوياً، يربي نفسه على الصلابة والصمود.

وحينما ندرس حيات عظماء التاريخ البشري، نجد في أغلبهم أن مرحلة الشباب كان لها دور بارز في صقل نفسياتهم وتوجيههم باتجاه العظمة والكمال وذلك لأنهم استطاعوا التمسك بخط الفضيلة والالتزام، ورفضوا الانحدار إلى هوة الشهوات وسحيق الانحراف، رغم عنف الغريزة وتوفر الأجواء المساعدة على الفساد.

---

[1] مجموعة ورام / ج٢ – ص١١٨.

[2] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٨.

وإليكم بعض النماذج من حيات العظماء الذين استفاد من مرحلة الشباب في تنمية إرادتهم، وتقوية صمودهم النفسي أمام الشهوات و الإغراءات.. وبذلك أهلوا أنفسهم لتقمص العظمة ولإرتقاء سلم المجد والكمال:

١/ فهذا نبي الله يوسف بن يعقوب (عليه السلام) وقد أفتقد حنان الوالدين وعطفهما، منذ نعومة أظفاره، فبعد أن افتقد أمه تآمر عليه إخوته وألقوه في غيابة الجب، ثم اشترته إحدى القوافل المصرية بثمن بخس، دراهم معدودة.

وشاءت له الأقدار أن يعيش مرحلة الشباب في بيت عزيز مصر، ومع زوجته زليخا والتي أغرمت بجمال يوسف المشهور واستقر عشقه في قلبها، وكان البيت خالياً من أي مزاحم، والأجواء مهيأة لتنفيذ خطة الشيطان.

تصور نفسك أيها الشاب، في موقع نبي الله يوسف (عليه السلام)، وفي مثل هذه الأجواء المشجعة على الانحراف، فماذا سيكون تصرفك ودورك؟

وفي الواقع فإن أكثر شبابنا يتعرضون للإغراءات التي تعرض لها هذا الشاب العظيم يوسف، ويعيشون نفس الأجواء التي عاشها..

وعليهم أن يتخذوا من يوسف قدوة وأسوة، يقتدون به في تحديه لتلك

الإغراءات ومجابهته لتلك الأجواء فكيف كان موقفه هناك ؟

إن القرآن الكريم ببلاغته العظيمة وأسلوبه السماوي، يقص علينا جانبا من تلك الظروف الخطيرة التي عاشها نبي الله يوسف (عليه السلام)، وفي مترل عزيز مصر، ومع تحرشات زوجته زليخا.. يقول تعالى: ((وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض، ولنعلمه من تأويل الأحاديث، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين))[١]

((وراودته (طلبت منه ممارسة الحرام) التي هو في بيتها (زليخا زوجة العزيز) عن نفسه، وغلقت الأبواب (حتى لا يهرب منها) وقالت هيت لك (إني متهيأة لك) قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون))[٢]

[١] **سورة يوسف / ٢٠-٢٢.**

[٢] **سورة يوسف / ٢٣.**

ويستمر القرآن في سرد بعض تفاصيل القصة، ولأهمية الموقف إلى أن يقول عن لسان زليخا زوجة عزيز مصر: ((ولقد راودته عن نفسه فاستعصم (امتنع) ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين))[1].

((قال: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه (من الانحراف) وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم))[2]

وهكذا طلب يوسف من الله، أن يعينه على مقاومة ضغوط الشهوة، وأجواء الانحراف، واستجاب الله تعالى له وتغلب على تلك الظروف، ولكنه تحمل قسوة السجن الطويل، بإرادة قوية ونفسية شجاعة.

وهكذا يجب أن يكون الشاب الصالح..

٢/ وثمة قصة رائعة ينقلها التاريخ بإكبار عن السيد (مير داماد) المشهور في إيران: فقد كان شابا يافعا يطلب العلم في إحدى المدارس الدينية في طهران، وفي إحدى الليالي وبينما كانت بنت شاه إيران في ذلك الوقت، تسير في الشارع مع جواريها وخدمها إذ أمطرت السماء مطرا غزيراً، وهبت رياح عاتية قوية، فصارت كل واحدة من جواري بنت الشاه تبحث عن ملجأ لنفسها، إلى أن أصبحت بنت الشاه وحيدة في الشارع في ذلك الجو المزعج المخيف. ورأت باب المدرسة مفتوحا فدخلت المدرسة، وطرقت باب غرفة السيد الشاب، والذي كان يتدفأ بحرارة شيء من الجمر، يدفع به البرد القارس. وشرحت للسيد الشاب قصتها، فهي فتاة ضائعة تريد ملجأ يستضيفها ريثما يهدأ الجو وينبثق نور الصباح. فلم ير السيد بدا من الاستجابة لها، وأدخلها غرفته حيث جلست في زاوية، وجلس هو في زاوية أخرى. وبعد أن ذهب قسط من الليل بدأ الشيطان يمارس دوره الخبيث في مثل هذه الأجواء.. كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما))[3]. أصبح الشيطان يزين للسيد الشاب اغتنام الفرصة، وممارسة الشهوة المحرمة، فالجو مهيأ والباب مغلق، ولا تمتلك الفتاة أي وسيلة للدفاع والامتناع.. ولكنه هو الشاب الصالح الواعي صار يفكر في وسيلة يتخلص بها من مخالب الشهوة، ومصيدة الشيطان. وأخيرا توصل إلى طريقة قاسية تعينه على مقاومة شهواته، ومكافحة وساوس الشيطان.. وذلك بأن يضع إصبعه على الجمر حتى يشتغل بألم الحرق عن التفكير في الحرام، وهكذا

---

[1] **سورة يوسف / ٣٢.**

[2] **سورة يوسف / ٣٢-٣٤.**

[3] **الري شهري : ميزان الحكمة : ج٩ ص١٠٨.**

استمر يحرق أصابعه طوال الليل، ويكابد الألم، وهو يخاطب نفسه قائلا: ذق النار وخف نار الآخرة !!

٣/ وهل سمع الأخوة الشباب عن ابن سيرين العالم النفسي المعروف بتفسير الأحلام: لقد كان شابا رشيق القوام، صبوح الوجه، جميل المنظر، وكان يعمل صانعا لبزاز يبيع الأقمشة، وذات يوم جاءت امرأة تشتري بعض الأقمشة، ثم طلبت من البزاز صاحب المتجر، أن يرسل معها، صانعه ابن سيرين ليحمل معها ما اشترت، ولتعطيه الثمن، وجاء معها ابن سيرين الشاب الجميل، وبعد أن دخل معها الدار، أغلقت الباب، وطلبت منه ممارسة الشهوة المحرمة، ولكنه رفض وامتنع، فأصرت عليه. وحينما رأى نفسه متورطا طلب منها أن تسمح له بدخول بيت الخلاء أولا، فسمحت له بذلك، فلما دخل بيت الخلاء لطخ جسمه كله بالقذارة والنجاسة، وخرج إليها في تلك الهيئة العفنة المشينة. ورأته المرأة على تلك الحالة فاشمأزت منه وطردته من الدار. وبهذه الحيلة تخلص من ورطة الشهوة والإغراء.

وللشباب.. دور اجتماعي

في مرحلة الشباب تتفجر طاقات الإنسان، وتتفق مواهبه ويتوفر له الفراغ النفسي والزمني، بالإضافة إلى ما يمتلك من قوة وقدرة ونشاط، كل ذلك يؤهله ويشجعه لكي يلعب دورا ما في المجتمع.

وقد سبق وأن تحدثنا عن رغبة الشباب الجامحة في أن يمارس إرادته، ويلعب دورا يشعر فيه باستقلاله وشخصيته، ويثبت للآخرين قدرته ورجولته، بعد أن كان يعيش صغيرا خاضعا لأوامر الآخرين، ومنصاعا لإرادتهم.. بعد أن كان يعامل في المجتمع كطفل يريد أن يتعامل مع المجتمع كرجل له شخصيته المستقلة وإرادته الكاملة..

وإذا فسحنا المجال للشباب أن يمارس دورا اجتماعيا، ووجهناه للقيام بدور صالح مفيد يساعد على بناء شخصيته وينمي كفاءاته، ويزوده بالخبرة الاجتماعية، فقد أحسنا الاستفادة من ملابسات مرحلة الشباب ومميزاتها.

وإن لم نهتم بهذه المسألة ولم نفسح المجال للشباب في ممارسة رغبته بلعب دور اجتماعي ضمن توجيه صالح، فستكون النتيجة أحد شيئين: إما أن تخمد طاقات الشاب، وتقتل مواهبه، وتدفن طموحاته ... وإما أن يبادر إلى ممارسة أدوار منحرفة، والقيام بأعمال فاسدة.

وهذه هي المشكلة التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلامية.. فأكثر المجتمعات لا تعرف كيف تتعامل مع الشباب في هذه الناحية ... وكثير من الكبار والذين هم يتحكمون في أمور المجتمع ويمسكون بأزمته.. أغلبهم غير مستعدين لإعطاء أبنائهم الشباب فرصة لممارسة طاقاتهم وكفاءاتهم، ولا يفسحون لهم المجال للقيام بأي دور اجتماعي، ولا يولونهم شيئا من الثقة، بل يعتبرونهم أطفالا جاهلين وشبابا طائشين..

وبذلك ينشأ شبابنا بطموح محدود، وخبرة قليلة، وطاقات مكبوتة ذابلة.. أو ينحرفون عن خط الفضيلة، والصلاح، حينما تتبناهم التيارات الأخرى وتعطيهم المزيد من الثقة بأنفسهم وتفسح لهم المجال للعب الأدوار المهمة والخطيرة.. ومن الطبيعي أن ينحرف الشاب إلى الفئة التي تتعامل معه كشخصية قادرة قوية ويترك الذين يتعاملون معه كطفل صغير وكشاب طائش.

ويؤسفنا جدا أن مجتمعنا لا يزال يقوّم الإنسان بمقياس العمر والزمن.. وما دام الشباب لم يقطعوا من الحياة إلا مسافة قصيرة فإن مجتمع الكبار لا ينظر إليهم بثقة واحترام، ولا يفسح لهم مجال التحرك والنشاط. وقد أعلن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم رفض الإسلام الصريح لمقياس العمر والزمن وجعل المقياس الصحيح هو الكفاءة والعمل، والشاب الكفؤ العامل له الأفضلية والأولوية والصدارة على الآخرين. فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتاب بن أسيد على مكة وعمره إحدى وعشرون سنة، وأمره أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وقال له صلى الله عليه وآله وسلم: يا عتاب تدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله عز وجل، ولو أعلم لهم خيرا منك استعملته !

وحينما اعترض بعض أهل مكة على ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ولا يحتج محتج منكم بصغر سنه فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر))[1].

بل إن تعاليم الإسلام تشجع على فسح المجال لهذه الطاقات الشابة كي تنمو وتتقدم، حتى أن هناك مسألة فقهية، تذكرها كل الرسائل العملية هي أنه يصح للصبي غير البالغ أن يؤم زملاءه من الصبيان في صلاة الجماعة، ليتربى على الثقة بنفسه وليشعر الصبيان حينما تكون لهم صلاة جماعة مستقلة بأن لهم شخصيتهم ولهم دورهم المشابه لدور الكبار.

وحينما نطالع سيرة قادة الإسلام، وتاريخ حياتهم، نراهم يتعاملون مع الشباب بتشجيع واحترام، ويمنحون ذوي الكفاءة منهم ثقة عظيمة، ويحملونه مسؤوليات خطيرة.

فنبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم يختار مصعب بن عمير الشاب المجاهد ليكون سفيره على المدينة، ليقود المجتمع هناك إلى طريق الإسلام، ويهيئ يثرب لتكون منطلق الإسلام ومقر

---

[1] **جوان بالفارسية للشيخ محمد تقي الفلسفي / ص٢٠.**

حكومته الناشئة، ويأتي مصعب الشاب في تلك الظروف الحرجة إلى المدينة، متحملا تلك المسؤوليات الضخمة، وقد وفقه الله للنجاح في مهمته بإيمانه الصادق وإخلاصه العميق، وجهاده الدؤوب.

وفي آخر أيام حياته الشريفة هيأ صلى الله عليه وآله وسلم جيشا كبيرا فيه أكابر الصحابة وشيوخ المسلمين، لغزو الروم، وجعل قيادة ذلك الجيش لتلك المعركة الخطيرة بيد أسامة بن زيد، وهو شاب لم يبلغ العشرين بعد من العمر.. وقد كان من ضمن الجيش الخاضع لقيادة أسامة الشاب: أبو بكر، وعمر، وطلحة، والزبير وأمثالهم..

وحينما استاء بعض الصحابة من تأمير أسامة بن زيد عليهم مع صغر سنه، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضبا شديدا من تحكم مقاييس الجاهلية، في عقول بعض الصحابة.. وخرج يخطب في المسلمين مع شدة ألمه ومرضه يومذاك. وكان فيما قال في الخطبة: ((أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة بن زيد ولئن طعنتم في تأميري أسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، و ايم الله إنه كان لخليقا بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها))[1].

وهذا إمامنا جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يجد في هشام بن الحكم الشاب اليافع، طاقات عظيمة ومواهب ضخمة فيبدي له من الإكبار والتقدير والاحترام، ما يدهش الشيوخ الكبار..

ففي سفينة البحار أنه (بلغ من تربية هشام بن الحكم وعلوه عند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه دخل عليه بمنى وهو غلام أول ما اختلط عارضاه، وفي مجلسه شيوخ الشيعة، كحمران بن أعين، وقيس الماصر، ويونس بن يعقوب، وأبي جعفر الأحوال، وغيرهم فرفعه على جماعتهم، وليس فيهم إلا من هو أكبر سنا منه !!

فلما رأى أبو عبد الله (عليه السلام): إن ذلك الفعل كبر على أصحابه، قال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده)[2].

وأخيرا: فإن الشاب بقواه وطاقاته لا يمكن لأن يعيش في الفراغ، أو يبقى فضوليا و على هامش الحياة في المجتمع، وإنما يجب أن يمارس دورا اجتماعيا، فإن نحن شجعناه على ذلك ووجهناه للقيام بالدور الصالح المفيد، كسبناه وهيأناه للمستقبل كعنصر صالح فعال، وإن تجاهلنا شخصيته واحتقرنا مؤهلاته وقدراته، ولم نفسح له مجال العمل والنشاط بالاتجاه الصحيح ، احتواه الآخرون وصاغوا شخصيته حسب خططهم الفاسدة المنحرفة..

وقد أثبتت التجارب أن الشاب إذا ما أعطي دورا اجتماعيا وتحمل مسؤولية دينية، أصبح أكثر اهتماما بمجتمعه، وانشدادا للدين والتزاما به..

---

[1] **شرف الدين : النص والاجتهاد / ص٩.**

[2] **القمي : سفينة البحار / ج٢ –ص٧١٩.**

أما مجرد أن نحث الشباب على الصلاة والصيام ونشجعهم على استماع الخطب والمحاضرات، فهذا لا يكفي لضمان استقامتهم وصلاحهم، ولتربية أخلاقهم ومواهبهم..

بل يجب إعطاؤهم برامج عمل وخطط تحرك ونشاط، تجعلهم يشعرون بدورهم في المجتمع، ومسؤوليتهم في الحياة..

ومن المؤلم جداً أن يتصدى المجتمع لأي شاب مؤمن، أو فئة طيبة من الشباب، تمارس نشاطاً اجتماعياً أو تحركاً دينياً !!

يتصدى المجتمع لهم بالتشكيك والتهم والتحدي، والمقاومة !

فكم شاهدنا جماعات من الشباب الطيبين المخلصين لأمتهم، المتحمسين لدينهم، يريدون القيام بعمل ديني أو اجتماعي، كتأسيس مكتبة ثقافية، أو إنشاء صندوق اجتماعي، أو تكوين لجنة أو هيئة للنشاط الديني والاجتماعي بيد أن المجتمع يبخل عليهم بالتجاوب والتشجيع، ويمنع عنهم المساعدة والدعم.. بل قد يتحداهم ويقاومهم.. لماذا ؟

لأن آباءنا وكبار مجتمعنا لا يفهمون طبيعة هذه المرحلة، ولا يشعرون بخطورتها ؟

أم لأنهم لا يسمحون لهؤلاء الشباب الناشئين مشاركتهم في تسيير أمور المجتمع وصناعة أحداثه؟

أم ماذا؟

إنها لجريمة كبرى وخيانة عظيمة!!

الثورة ضد التخلف والتمرد على الطغيان

في مواجهة هذا الواقع السيئ المأساوي الذي تعيشه أمتنا الإسلامية، ما أحوجنا إلى روح الثورة، و مواقف الرفض والتمرد!!

فالحكومات الديكتاتورية الظالمة لا تزال تفرض سيطرتها على شعوبنا المستضعفة وتنفذ فيها سياسة الاستعمار، و خطط الدول الكبرى..

والأفكار السلبية المتخلفة، ما برحت تعشعش في عقول زعمائنا وشخصياتنا الدينية والاجتماعية، ومن خلالها يقودون المجتمع ويوجهونه..

والعادات السيئة والتقاليد البالية لا تزال تخلق المزيد من المشاكل والعقد لمجتمعاتنا..

تخلف شامل.. ورجعية متحكمة.. وديكتاتورية متسلطة.. ذلك هو طابع حياتنا، والسمة العامة لشعوبنا..

ولكن ما هو موقف المجتمع تجاه هذا الواقع الأليم؟ إنه الاستسلام الكامل، والخنوع المذل، والخضوع الجبان!

لقد تلاشت روح الثورة المتقدة التي كانت تغمر نفوس أمتنا.. و انعدمت مواقف الرفض.. وانتهت نفسية التمرد.. وخمدت جذوة المعارضة..

أصبح كل واحد منا لا تهمه إلا حياته، ولا يفكر إلا في مصالحه الخاصة.. أما واقع الأمة وأوضاع الوطن السياسية والاقتصادية، وحالة المجتمع، فتلك أشياء لا يتسع لها فكره ولا تحوم حولها اهتماماته..

وبقينا ولا نزال نعيش هذا الواقع المهترئ، وقد تتبدل الوجوه، وتتغير الشعارات، وتتعدد المظاهر.. ولكن الواقع هو الواقع في تخلفه وانحطاطه، وفي جوهر بؤسه ومأساويته..

وسنبقى نعيش هذا الواقع إلى أن تتولد فينا روح الثورة، وتتوفر لدينا نفسية التمرد، ونمارس مواقف المعارضة والرفض لهذا التخلف المرير..

يقول تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[1].

و إذا كنا نسعى للحصول على هذه الروح الثورية، ونتمنى امتلاك نفسية الرفض والمعارضة ففي مرحلة الشباب بذور حية واستعداد طبيعي للقيام بهذا الدور المطلوب..

وذك للملابسات الآتية:

أولاً: لأن الشباب يستشعر بقوة نفسه وعضلاته، بعد أن كان يعيش ضعف الطفولة.. ولذا يجب أن يمارس هذه القوة في التحدي والتمرد..

ثانياً: باعتباره يعيش أوائل الحياة وبدايتها، فهو غير متشبث بها ولا حريص عليها كحرص الكبار، بل يعشق المغامرة، ويود التعرض للأخطار –كما تقدم في الفصل السابق– وهذا ما يؤهله لتقمص روح الثورة والرفض.

ثالثاً: إنه غير منشد ولا مرتبط بهذا الواقع، انشداداً قوياً أو ارتباطاً وثيقاً.. لقصر عمر معايشته لهذا الوقع، وعدم وجود مصالح كثيرة له تجلب رضاه على ذلك الواقع..

لأن الإنسان إذا عايش واقعاً معيناً لفترة طويلة، وتعددت ارتباطاته، ومصالحه بذلك الواقع، أصبح من الصعب عليه التفكير بتغيير ذلك الواقع، بل قد يقلقه احتمال تبديله.

(كما كان ينظر ((جان جاك روسو)) إلى الملكية في فرنسا، فقد جاء عنه أنه كان يرعبه مجرد أن يتصور فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذ، لأن ((روسو)) هذا نشأ في ظل الملكية، وتنفس هواها طيلة حياته)[1].

---

[1] سورة الرعد / ١١.

وهكذا يكون الشباب أقرب فئات المجتمع إلى روح الثورة وأكثرهم استعداداً للمعارضة والرفض.

وقد استفادت كل الرسالات السماوية، والثورات الاجتماعية من هذه الظاهرة، فاعتمدت الشباب كطليعة للتغيير، ووقود للثورة..

أما في مجتمعاتنا الإسلامية فهناك خطأ كبير يحدث في التعامل مع الشبيبة الناشئة، فبدلاً من أن توجه روح الثورة لديهم، وميول المعارضة والرفض عندهم ضد التخلف السائد، والطغيان المسيطر، بدلاً من ذلك نحاول أن نقتل عند شبابنا روحه الثائرة وحماسه المشتعل في مواجهة هذه الأوضاع، ونعمل على إقناعه بالخنوع لهذا الواقع السيئ، والاستسلام لهذه الأوضاع الفاسدة عن طريق تثبيط العزائم، وبث اليأس في النفوس، وقد نستعين بتحريف المفاهيم الإسلامية لكي نقنع شبابنا بعدم المعارضة والرفض..

فالتقية واجبة شرعاً وهي تقتضي السكوت والخنوع لأي ظالم يسيطر على الشعب !!

والمقاومة تعني إلقاء النفس في التهلكة، وهذا محرم في شريعة الإسلام.

والمعارضة تحتاج إلى فتوى من المجتهد وهو لا يرى في الثورة والمعارضة مصلحة للدين !!

والثورة الآن سابقة لأوانها، ووظيفة المؤمن حالياً هي الانتظار لظهور الحجة !!

ولكن هل تنطلي هذه المفاهيم الخاطئة، والأفكار السلبية على كل الشباب الطامحين للتغيير، والمتحمسين للثورة والمعارضة؟

كلا.

فللناس عقول يفكرون بها ويستعرضون أمامها هذه المفاهيم والأفكار.. فقد ينخدع بها بعض الشباب، ويستسلمون لهذا الواقع الفاسد، يتنازلون عن ثوريتهم، وحماسهم.. بينما يبحث الآخرون عن طريق ثوري يسلكونه لتغيير الأوضاع وتبديل الواقع..

وهذه هي فرصة التيارات المناوئة، والخطط الاستعمارية، لكي تتصيد شبابنا باسم الثورة، وتحت شعارات الرفض والمعارضة..

وحينما يجد الشباب أمامه طريقين:

طريق الدين وهو يدعوه إلى الاستسلام والخنوع للتخلف والطغيان (كما يتصوره بعض الدعاة الرجعيين).

وطريق الإلحاد وهو يشجعه على الثورة، ويعطيه طموح التقدم والتغيير..

---

[1] الشهيد الصدر : بحث حول المهدي / ص٤٥.

فمن الطبيعي أن تسلك الأكثرية الاتجاه الثاني لأنه ينسجم مع طبيعتهم الثورية، وميولهم الرافضة، ويتوافق مع طموحات الإنسان وآماله الواسعة..

وفي الحقيقة فإن الإسلام في جوهره وواقعه ثورة ضد التخلف ورفض للظلم والطغيان.. وتوحيد الله تعالى تحت شعار (لا إله إلا الله) إنما يعني الكفر بجميع أصنام الديكتاتورية والطغيان والانحراف..

وتعاليم الإسلام تفرض على الإنسان المسلم مكافحة الظلم، ومقاومة الباطل والفساد، والتمرد على الجور والانحراف.

ولو أننا عرضنا على شبابنا الإسلام الحقيقي بتعاليمه الثورية، ومناهجه التغييرية الصادقة، لأصبح شبابنا دعاة مخلصين لحضارة الإسلام، وثواراً مناضلين لعودة الإسلام إلى الحياة، وبناء الأمة المؤمنة الرائدة..

الشباب والتضحية في سبيل الله

سبيل الله هو سبيل الحق والعدالة والحرية..

والعمل في سبيل الله هو العمل من أجل تطبيق الحق، وسيادة العدل وتوفير الحرية..

وقد علمتنا أحداث التاريخ، وأثبتت لنا معادلات الحياة أن الحق والعدل والحرية لا يمكن أن تتوفر إلا عن طريق العطاء والنضال والتضحية..

فالشعب الذي يمتلك روح العطاء والتضحية، ويسلك درب النضال والكفاح يستحق العدالة والحرية، ويصل على أجواء الحق..

أما الشعب البخيل الجبان فجزاؤه حكم الباطل، وديكتاتورية الظلم وذل الاستعباد.

والذين ينتظرون تطبيق العدل وتوفير الحرية بالدعاء أو التضرع إلى الله، وبالتمني والآمال!! هؤلاء عليهم أن ينتظروا المزيد من الظلم والكبت والإرهاب..

فللعدالة طريق لا يمكن الوصول إليها إلا بالسير فيه، وللحرية ثمن لا يمكن تحصيلها إلا بدفعه..

وطريق العدالة هو النضال، وثمن الحرية هو التضحية والفداء..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، فلا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة"[1]

---

[1] القمي : سفينة البحار / ج١ – ص١٩٥.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ينذر المتقاعسين عن التضحية والعطـــاء، ويحذر المتخاذلين عن سلوك طريق النضال والفداء.. فيقول:

"الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديِّث بالصغار والقمائة.. "[1]

وجميل جداً قول أحد الشعراء:

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق

وشباب الأمة أقدر فئاتها على النضال والتضحية، وطبيعة مرحلة الشباب التي يعيشونها تدعوهم إلى المغامرة وعدم المبالاة بالحياة، لظروف نفسية سبق الحديث عنها في الفصل الماضي..

فعلينا أن نستفيد من هذا الطبيعة المتوفرة لدى شبابنا، ونوجههم باتجاه التضحية في سبيل الله، أي في سبيل تحقيق الحق وتطبيق العدل وتأمين الحرية..

وإلا فقد توجه هذه الظاهرة اتجاهاً خاطئاً، ومن هنا تتكون عصابات الإرهـــاب، وجماعـــات التخريب والانحراف، والمغامرات الفاسدة.. أو تحتضن التيارات الأخرى شبابنا، فتجعلـــهم وقـــود مخططاتها المعادية، وجسوراً لمطامعها الاستعمارية.

الوعي الإسلامي هو المطلوب

يتيقظ التفكير، ويتفتح الذهن، وتبدأ علامات الاستفهام تلاصق تفكير الشاب الناشئ، وتثـــور التساؤلات الملحة أمام عقله.. فمن أنا؟

ولماذا جئت إلى الحياة؟

ومَن الذي خلقني وأوجد الحياة؟

ما هو المصير الذي ينتظرني والنهاية التي ستؤل إليها حياتي؟

ما هو موقعي في الكون ودوري في الحياة؟

وهذا المجتمع الذي وجدت نفسي أعيش فيه ما هو موقفي منه ومن واقعه وأوضاعه؟

هذه الأسئلة وعشرات مثلها ترتسم أمام ذهن الشاب الناشئ ويظل يبحث عن إجابة شـــافية مقنعة لها.

---

[1] **نهج البلاغة : خطبة رقم ٢٧.**

وذلك لأنه يعيش فراغاً فكرياً، فلقد تفتح ذهنه، وبدأ يفكر في هذه الأمور.

وهذه هي فرصة التيارات المنحرفة الدخيلة، لتقوم بتعبئة فكر الشباب بمفاهيمها الخاطئة والمناوئة، وتملأ فراغه الذهني بإعطائه إجابات مزيَّفة مغلوطة عما يدور في عقله من تساؤلات.

ولذلك تؤكد أحاديث الأئمة القادة (عليهم السلام) وتنبه إلى خطورة مرحلة من هذه الزاوية.

وتلفت أنظار الآباء والموجهين والواعين في المجتمع إلى أهمية المبادرة لتوعية الأبناء والشباب، وملئ فراغهم الفكري، بحقائق الإسلام، ومفاهيمه السليمة.

بل يعتبر الإسلام توعية الولد حق من حقوقه على والده فإذا قصَّر الأب في القيام بذلك فإن الله تعلى سيحاسبه ويعاقبه يوم القيامة، ويقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام):

"وأما حق ولدك فإن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه"[1]

ويشير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى الفراغ الفكري الذي يعيشه الشاب الناشئ مما يهيئه لاستقبال أي فكر يعرض عليه. فيقول: "وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته"[2]..

أما الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فيحثٌّ على الإسراع في توعية الناشئة لتفويت الفرصة على التيارات المنحرفة، والمبادئ الهدّامة فيقول: "بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليها المرجئة"[3] – المرجئة: تيار فكري منحرف ظهر في المجتمع الإسلامي آنذاك.

وحينما نرى الآن موج الانحراف عن خط الإسلام ومبادئه قد جرف أكثرية أبناءنا وشبابنا، والذين تراموا في أحضان الغرب أو الشرق، فلا بد لنا من التفكير في جذور المشكلة وأسبابها.. لمواجهة تيار الضياع والانحراف الذي يهدد مستقبل الأمة والرسالة بخطر عظيم.

ليس صحيحاً أن ذلك نابع من خبث وشقاء يكمن في نفوس هؤلاء الناشئين!!

كما لا يجوز الخضوع لبعض الأفكار الاستسلامية البالية التي تفسر ما حدث وكأنه حتمية تاريخية لابد منها، فالفساد لا بد وأن يظهر في البر والبحر، والأرض تمتلئ جوراً وظلماً لا محالة.. وبالتالي لا يمكن الوقوف أمام حتمية تاريخية وقدر مفروض!!

---

[1] **الطبرسي : مكارم الأخلاق / ص٤٢١.**

[2] **المجلسي : بحار الأنوار / ج٧٧ – ص٤٧.**

[3] **الكليني : فروع الكافي / ج٦ – ص٤٧.**

إن ضعف إقبال شبابنا على الدين وانسياقهم خلف المبادئ المستوردة الدخيلة، ناشئ من أسباب معينة يفرزها واقعنا المتخلف.

وإننا نتحمل مسؤولية ضياع أجيالنا القادمة، أمام الله وأمام التاريخ، لأننا سببنا لهم الضياع والانحراف، بواقعنا المتخلف، وتقصيرنا في توجيههم وتوعيتهم بالمستوى الصحيح والمطلوب.

تزييف الإسلام

إن من أهم الأسباب والعوامل التي جعلت شبابنا يتنكرون لمبدئهم ودينهم، هو هذا الواقع الإسلامي المزيَّف، الذي تعيشه مجتمعات الأمة في كل مكان.

فحينما يفتح الشاب عينه على مجتمعه المتخلف المتمزق، الذي تسوده الأنانية، والطبقية والظلم والكبت والتحجر الفكري، يرى أن كل هذه المساوئ تمارس باسم الإسلام، بلباس ديني.. فالحاكم المستبد الديكتاتوري يحكم الناس باسم الإسلام.

والنظام السيء المتخلف عليه مسحة إسلامية.

وبعض العقول الرجعية المتحجرة تمارس دور علماء الدين!

والأفكار السلبية الانهزامية تطرح على الناس كمفاهيم إسلامية!

مادام الإسلام يعرض على الشباب من خلال هذا الواقع المهترئ والمتخلف فكيف سيكون موقف هؤلاء الشباب من الإسلام؟

أليس من الطبيعي أن ينفروا من الإسلام ويتنكروا لمبادئه، ويبحثوا عن طريق آخر يسلكونه لتغيير واقع أمتهم وإصلاح مجتمعهم؟

إن الحياة المتخلفة والتي نعيشها بماركة الإسلام، والأفكار السلبية والرجعية التي نقدمها لأبنائنا كصورة مشوهة عن ثقافة الإسلام.. إن ذلك هو عامل رئيسي في تراجع هذا الجيل الناشئ من الشباب عن التدين والإسلام..

ماذا يعرفون على الإسلام؟

قبل أن نتحامل على الشباب، ونصدر ضدهم فتاوى التكفير والتفسيق يجب أن نسأل أنفسنا: هل عرضنا الإسلام على هؤلاء الشباب فرفضوه؟

والجواب بالطبع: كلا. فأغلبية شبابنا لا يعرفون عن مبادئ الإسلام وأنظمته وتعاليمه شيئاً. فكل ما كان يعرض في مجتمعاتنا من الإسلام لم يكن يتعدى أحكام الشك ومسائل الحيض والنفاس وما شابه من قضايا الفقه العبادي!!

أما الجانب الفكري من الإسلام، أو الجانب الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، فتوفر عرض هذه الجوانب الهامة من الإسلام في صفوف الشباب قليل. أليسَ كذلك؟

إذن كيف نريد من الشباب التمسك والالتزام بدين لا يعرفون عن قيمة وأهمية أنظمته وصلاحية تعاليمه شيئاً في عصر الدعاية والإعلام لمختلف الأنظمة والمبادئ والتيارات؟

إن أكثر الشباب حينما يبتعدون عن الدين وينفرون من الإسلام إنما لأنهم يجهلون هذا الإسلام ولا يعرفون عظمته وقيمته وأهميته. ونحن مسؤولون جميعاً عن هذا التقصير في تعريف أبنائنا بالإسلام، وعرض مبادئه وتعاليمه وأنظمته عليهم.

كيف نعرض الدين؟

رأى الملك في منامه رؤيا أزعجته، فانتبه فزعاً مرعوباً.. واستدعى مفسّراً للأحلام وقصَّ عليه رؤياه قائلاً:

رأيت في المنام كأن أسناني تتساقط الواحد تلو الآخر، فما تأويل ذلك؟

أطرق المفسر هنيئة ثم رفع رأسه يقول: إن صدقت رؤياك فسيموت أهل بيتك كلهم في حياتك.

فغضب الملك وتشاءم من هذا التفسير المؤلم.. وأمر بقتل العالم المفسر للأحلام وطلب حضور مفسر آخر، فجيء به إليه فقص عليه نفس الرؤيا، فأجابه بنفس الجواب السابق.. سيموت أهل بيتك في حياتك.. فأمر بقتله أيضاً.

وجاءوا له بمفسر ثالث فقصّ عليه الرؤيا، وأنه رأى أسنانه تتساقط الواحد تلو الآخر.. وبعد لحظات تفكير وتأمل قال المفسر الثالث: إن صدقت رؤياك فأنت أطول أهل بيتك عمراً إن شاء الله.

فابتهج الملك وتهللت أسارير وجهه ارتياحاً من هذا التأويل وأمر بإعطاء هذا المفسر جائزة ثمينة!!

تأمل أيها القارئ الكريم.. هل تجد اختلافاً في المعنى بين التفسيرين؟ كلا.. فهما يثبتان حقيقة واحدة، هي أن الملك يبقى بعد أن يفقد أهل بيته.. إذاً فلماذا اختلف موقف الملك تجـــاه المفـــسرين فأمر بقتل الأولين بينما أمر بالجائزة للثالث؟

.بملاحظة عابرة تدرك أن السر يكمن في أسلوب العرض، فالحقيقة هي هي ولكنها عرضت في الأول بأسلوب يدعو إلى التشاؤم والانزعاج.. بينما في المرة الأخيرة عرضـــت بأســـلوب يطفـــح بالتفاؤل والارتياح.

أسلوب العرض مهم جداً

وهنا تظهر لنا أهمية أسلوب عرض أي حقيقة ودوره في تحديد موقف النـــاس مـــن القـــضية المطروحة.. فحتى لو كانت القضية حقاً ولكن لم يسعفها الأسلوب الجميل في العرض.. فإن تقبـــل الناس لها لا يكون مضموناً.. بينما لو كانت باطلة واستخدم لها أسلوب جيد في العرض فقد ينخدع بذلك كثير من الناس.

والآن ونحن نرى كيف أن الناس قد قلَّ إقبالهم على الدين وضعف تمسكهم بـــه.. فكيـــف نستطيع استقطابهم نحو دينهم وتوعيتهم برسالتهم العظيمة.

أعتقد أن من الضروري أن نفكر في أسلوب عرض الدين على الناس.. وفي الطريقـــة الـــتي نستخدمها في توجيه الآخرين وتوعيتهم، فإن كثيراً من الدعاة والموجهين لا ينجحـــون في اختيـــار الأسلوب الجميل وبذلك لا يوفقون في مهمتهم.. بل قد يحدث العكس فيتولد عند البعض رد فعـــل واشمئزاز ينفره من الدين.

والقرآن الحكيم يلفتنا إلى أهمية هذا الجانب في موضوع الدعوة الإسلامية.. ويركز على نوعية الأسلوب المستعمل في التبليغ فيقول{أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}[1].

ويتحدث القرآن عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتأثيرها في استقطاب النـــاس نحو الدين.. فيقول: {ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك}[2]

الدعوة والواقع الاجتماعي

وفي هذا العصر حيث تتوفر مختلف وسائل الانحراف والإغراء، حتى أصبحت جزءاً من حيـــاة الناس اليومية وبعد أن تزعزعت ثقة الجيل الحاضر بدينه بفعل عهود الاستعمار والتخلف، وبـــسبب

---

[1] **سورة النحل / ١٢٥.**

[2] **سورة آل عمران : ١٥٩.**

الانفتاح على العالم الغربي والشرقي واللذان يمتلكان كل وسائل الحضارة والصناعة والعلم مع اتجاههما المناوئ للإسلام.

في مثل هذا العصر وهذا الواقع ما هو الأسلوب القادر على استقطاب الناس إلى الدين وإعادة الثقة بمبادئه في نفوسهم؟

هناك عدّة مواصفات يجب أن تتوفر في أسلوب عرض الدين على الناس في هذا العصر.. منها:

١/ البساطة والوضوح.

أهم ميزة يتميز بها هذا العصر هي أنه عصر السرعة فالمسافة التي كان الإنسان يقطعها في شهر على أقتاب الإبل أصبح يلتهمها في ساعة على مقعد الطائرة الوثير المريح والعمل الذي كان الإنسان ينفق فيه أياماً من الجهد والتعب صار ينتجه في لحظات وبسهولة فائقة، كل هذا جعل الإنسان يألف السرعة في أعماله وتصرفاته وحتى تفكيره.. ويشمئز من أي عمل يتطلب منه جهداً كثيراً ووقتاً طويلاً.

فحتى من الناحية الفكرية والعلمية أصبحت البساطة والوضوح هما شعار الفكر والعلم في العصر الحديث. فالقضايا الفلسفية المعقدة والتي كانت في الماضي حكراً على فئة معينة ذات مستوى معين من المعرفة.. صارت في متناول الشاب الناشئ يناقشها ويتخذ موقفه تجاهها، والمشاكل العلمية في مختلف حقول العلم فقدت هيبتها وأضحت تتعامل مع جميع المستويات بفضل التبسيط والتوضيح الذي تقوم به المدارس والمجلات والجرائد والكتب والبرامج المرئية والمسموعة.

وحينما نريد عرض قضايا الإسلام في هذا العصر –عصر السرعة والبساطة والوضوح– ينبغي أن نتجنب أسلوب التعقيد والغموض، وأن نطرح قضايا الدين الفكرية والعملية بشكل واضح مبسط.. يستطيع الشاب الناشئ والرجل العادي فهمه واستيعابه..

وهذا هو الأسلوب الذي يستعمله القرآن غالباً.. والذي كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يستخدمه في دعوته وتوجيهه.

بينما يميل بعض الموجهين في كتاباتهم ومحاضراتهم إلى استعراض عضلاتهم العلمية وانتقاء أصعب ألفاظ المنجد واصطلاحات اللغة وأساليب المنطق في طرح مفاهيم الدين ومبادئه.

وهذا الأسلوب يكون جيداً للأوساط العلمية المستعدة لصرف الجهد والتفكير، أما الشخص العادي والشاب الناشئ فلا رغبة عنده في هضم الجمل المعقدة واللغة الصعبة، فقد تعود على الأسلوب الصحفي البسيط.

وقد يستأنف بعض المفكرين والعلماء من الإسفاف بأقلامهم إلى المستويات العادية، ولكنهم في الواقع يتناسون أن المستويات العادية هي المحتاجة للتوجيه والمعرضة للتضليل.. هذا من ناحية..

ومن ناحية أخرى فإن الأمر يحتاج إلى نوع من القدرة الأدبية للمفكر حتى يستطيع تبسيط فكرته وتوضيحها.. فلا فخر له إن هو استرسل في تبيينها بأسلوبه الخاص، لكنه يشكر جداً لو استطاع صبها في قالب بسيط وواضح.

٢/ وسائل التأثير

إن مجرد عرض الفكرة أو القضية بشكل جامد قد لا يؤثر في النفس أو لا يجعل الفكرة تنفذ على الأعماق.. بينما لو استخدمت الوسائل الحية المتحركة فإنها تعطي للفكرة أبعاداً نفسية مؤثرة، فالقصة الجميلة والتي تهدف على تركيز حقيقة من حقائق الدين تستطيع التفاعل مع النفس والتأثير فيها أكثر مما يستطيع الكلام العادي..

وقد استفاد الآخرون من الأسلوب القصصي فائدة كبيرة فملأوا المكتبات بشتى أنواع القصص المفعمة بأفكارهم ومفاهيمهم وللقرآن الكريم فضل السبق، حيث يستعرض لقطات كثيرة ومؤثرة من قصص التاريخ وهي بحق أحسن القصص.

وحقائق العلم الحديث ولغة الأرقام والإحصائيات وسيلة فعّالة من وسائل التأثير في هذا العصر، على الداعية الموجه أن يستعين بها في عرض حقائق الدين ويستشهد بها على واقعية مفاهيمه وأحكامه.

ومن ناحية أخرى يجب أن لا نترك ساحة الفن تحت استعمار الفساد والانحراف.. السينما والمسرحيات والرسوم، كلها وسائل بالغة التأثير في النفس، ولكنها –مع الأسف- تخضع لاحتلال المفسدين والمنحرفين.. فعلى الدعاة والموجهين أن يحاولوا الاستفادة من هذه الوسائل لخدمة أهداف الإسلام ومبادئه.

٣/ المجتمع النموذجي

إنسان هذا العصر يعيش ثقة لا محدودة بحواسه ويريد أن يخضع كل شيء لمشاهدة الحواس وتجربتها.. فهو لا يكتفي من المهندس أن يلقي عليه محاضرة عن تصميم البيت وهيكله وتفصيله بل يطلب منه أن يجسد له هيكل البيت على خريطة يشاهدها ببصره.

وإذا أراد أن يشتري آلة أو سيارة أو أي شيء.. في البدء يبحث عن نموذج (كتلوج) ذلك الشي ليراه بعينه ثم يحدد موقفه.

ويستعمل الإنسان هذه الطريقة حتى مع النظريات الاجتماعية فلا يكفي أن تشرح له محاسن نظرية ما أو مساوئها، وإنما يريد أن يرى تلك النظرية مجسدة مجسمة على الصعيد الاجتماعي حتى يحدد موقفه منها.

أما إذا تحدثت له عن روعة نظرية ما ولكنه شاهد واقع أصحاب تلك النظرية يعيشون في حالة مناقضة فإنه لا يثق بسلامة الفكرة.

من هذا المنطلق تأتي ضرورة وجود المجتمع الإيماني النموذجي ليكون خير دليل وشاهد على روعة الإيمان.. والدعاة والموجهون يجب أن يكونوا نواة ذلك المجتمع المطلوب.. فيلتزمون في معاملتهم وسلوكهم وتصرفاتهم بأخلاق الإسلام وآدابه، ويجعلون من حياتهم تجسيداً حياً لقيم الدين ومفاهيمه.

أما إذا لم يتوفر ذلك في حياة الداعية، فإن التناقض بين دعوته وسلوكه يكون سبباً لنفور الناس من الدين وابتعادهم عنه.

الشباب.. القدوة..

تحاول الثقافة الفاسدة التحريفية، والإعلام الاستعماري، أن يبرز لشبابنا قدوات مزيّفة.. يوجه بها اهتماماتهم نحو الميوعة واللعب والانحراف..

لذا نرى التركيز على تضخيم شخصيات الفن! وفرسان الرياضة! وأبطال المغامرات الجنسية!

من أجل أن يجعلوا منهم قدوات يعمل أبناؤنا على تقمص شخصياتهم، والسير على خطاهم الملتوية..

وحتى إذا ما أراد هذا الإعلام الاستعماري، أو شاءت تلك الثقافة الفاسدة أن تستعرض لشبابنا حياة بطل ثائر، أو مواقف شاب مناضل، أو سيرة عالم مفكر.. فإنها تحاول استيراد هذه الشخصيات من وراء البحار ومن خلف المحيطات!!

ونحن وإن كنا نحترم كل كفاءة علمية، ونكبر أي نضال إنساني، ولكننا في نفس الوقت نرفض الانفصال عن تاريخنا المجيد وتراثنا العظيم الذي يزخر بحياة الأبطال المجاهدين، ومواقف الثوار المخلصين ونشاط العلماء المبدعين..

وتناسي عظماء تاريخنا الإسلامي، وأبطال أمتنا الكريمة واستجداء شخصيات الأمم الأخرى، واستيراد أبطالها كقدوات لشبابنا يعني طمس أصالة هذه الأمة، وقطع الصلة بين أجيالها المعاصرة وماضيها العريق!!

مع ملاحظة أخرى: هي أن أبطال الآخرين وشخصياتهم قد لا ينطلقون في مواقفهم من المنطلقات المبدئية التي نؤمن بها، ولا يتحركون ضمن الرؤية التي نعتنقها ولا يلتزمون بالتعاليم التي نلتزم بها نحن.. وإذا ما أصبحوا قدوات لشبابنا كان هناك خطر الالتباس وتشويش الرؤية..

وبمراجعة سريعة لأرشيف تاريخنا المجيد نرى للشباب الرسالي دوراً أساسياً وفعالاً في إرساء دعائم الرسالة الإسلامية، وبناء الأمة المناضلة..

كان للشباب المؤمن القسط الأكبر في صناعة الثورة الإسلامية واستمرار مسيرتها، وحماية مبادئها..

فقد كانوا في طليعة السابقين إلى الإيمان، والمبادرين إلى اعتناق الدعوة السماوية.. حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

"أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة إن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ"[1].

وبجهودهم المخلصة، وتضحياتهم العظيمة، ودمائهم الزكية الطاهرة، اخضرَّ عود الإسلام، وأينعت ثماره..

ولنستعرض الآن بعض السطور من حياة أولئك الشباب الرساليين ليكونوا قدوات لشبابنا المسلم المعاصر.

وغيّر المجتمع بخطة حكيمة

إذا كان قدرنا أن نولد في هذا المجتمع المتخلف البائس، وفي هذه الأجواء الرجعية الخانقة..

فهل من المحتم علينا أن نقضي كل حياتنا في ظل هذه الأوضاع، وتحت سيطرة هذه الأجواء؟

ولماذا لا نعمل على تغيير هذا الواقع؟

حتى تكون لحياتنا قيمة، ولوجودنا أثر..

إن العظماء الذين يمجدهم التاريخ، وتحترمهم الأجيال أولئك الذين رفضوا أن يغادروا الحياة وهي تعيش نفس الأوضاع التي كانت سائدة يوم جاءوا إلى الحياة..

هم الذين عملوا على تغيير مجتمعهم، وتبديل واقعه، وهؤلاء هم الذين صنعوا التاريخ ورسموا منعطفاته، فبقيت أسماؤهم خالدة تشهد على دورهم وعظمتهم، أما سائر الناس ممن جاءوا إلى المجتمع وذهبوا عنه كما جاءوا، فهم أشبه بالأنعام بل بعضهم أضل سبيلاً، ليس لهم اسم يذكر ولا أثر يبقى..

فهذا مصعب بن عمير[2] كان شاباً مرفهاً عزيزاً عند والديه جداً فهو وحيدهما المدلل وكان باستطاعته أن يستفيد من هذه الظروف في تحقيق مصالحه الشخصية، وبناء مستقبله المادي، ولكنه

[1] مرتضى فريد : روايات من مدرسة أهل البيت (ع) / ج١ – ص٣٤٩.

[2] راجع الكامل في التاريخ / ج٢ – ص٩٦.

رفض أن يكون كالبهيمة همها علفها، وصمم أن يمارس دور التغيير والثورة في ذلك المجتمع الجـــاهلي وأن يصرف طاقات شبابه في سبيل بناء المجتمع المتحضر الإيماني.

وانضم مصعب إلى الحركة الإسلامية التي كانت تمارس نشاطها بسرية وحذر في مكة المكرمة بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وقد استطاع بانضباطه والتزامه الإسلامي، وبنشاطه الرسالي أن يمارس دوراً قيادياً في الحركـــة الرسالية.

وهكذا اختاره الرسول محمد صلى الله عليه وآله ليكون ممثل الرســالة ومنــدوبها في المدينـــة المنورة، والتي تقرر أن تصبح قاعدة الإسلام ومنطلق المجتمع الرسالي..

وجاء مصعب الشاب إلى المدينة لا يمتلك إلا سلاح الإخلاص ورصيد الإيمان بأهدافه التغييرية المقدسة، في مواجهة أجواء شائكة معقدة.

فهناك تناقضات اجتماعية عويصة بين قبائل المدينة، وخاصة بين قبـــيلتي الأوس والخـــزرج.. وهناك تيارات دينية متعارضة من يهودية ومسيحية ووثنية.. وهناك أجواء الفساد التي يعيشها شباب المجتمع الجاهلي من خمر وقمار وانحراف.

ولكن مصعب الشاب الرسالي لا مجال له إلى العمل على تغيير هذا المجتمع مهما كان التغـــيير شاقاً، ومهما كان الطريق شائكاً..

ووضع خطة حكيمة، على ضوء توجيهات القيادة الرسالية وباشر العمل بإخلاص وتصميم.. وكان يواجه المشاكل والأزمات بصمود وإيمان..

وما مضت إلا فترة بسيطة، وإذا بالحركة الرسالية تمتلك كوادر جيدة، وجماهير مؤمنة بأهداف الرسالة، وإذا بالمدينة مهيأة لاستقبال الرسول القائد.. والذي جاء إلى المدينة وأعلـــن قيـــام دولـــة الإسلام الشامخة..

وهكذا تمكن الشاب الرسالي مصعب بن عمير من تغيير مجتمع المدينة، من مجتمع متخلِّـــف إلى مجتمع رسالي متحضر وشق بذلك الطريق لانتشار نور الإسلام، واتساع رقعته.

كرّس شبابه لخدمة الرسالة

يتفنن الاستعمار وأذنابه من الحكام والعملاء، في الوسائل والأساليب التي يضيّعون بها شـــباب أبنائنا وأعز مراحل حياتهم فمن مناهج دراسية خاطئة ووسائل إعلام سخيفة، واهتمامـــات مزيفـــة مختلفة..

وإن الإنسان ليتعجب من هذه المبالغ الطائلة التي تصرفها الحكومات من ثـــروة الـــشعب، في مجالات الرياضة والفن والترفيه! أكل ذلك رغبة من الحكومات في إراحة شعوبها وترفيهها؟

كلا فلو كانت هذه الحكومات تريد راحة الشعب، لعملت له مشاريع الصناعة، بل ووســـائل الحاجة الضرورية للحياة، فأكثر شعوبنا تشكو من عدم توفر الرعاية الصحية، والضمان الاجتمـــاعي، حيث لا بيت للسكن، ولا إعانة للحياة..

وبعد ذلك تنفق الحكومة على الرياضة والفن بسخاء حاتمي، لماذا إذن؟

والجواب واضح جداً، فهي تريد تفويت فرصة الشباب على أُمتنا دون أن نستفيد منها بشيء في صالح مستقبلها..

تريد شغل أوقات شبابنا وتزييف اهتماماتهم حتى لا يتفرغوا للتفكير في واقع أمتهم، والتخطيط لإنقاذها..

تريد تذويب وإضاعة كفاءات أبنائنا ومواهبهم لنبقى دائماً أســـرى للكفـــاءات والخـــبرات الأجنبية..

ومع الأسف الشديد فإن أكثر شبابنا راحوا ضـــحية هـــذه الأهـــداف الخبيثـــة والخطـــط الاستعمارية..

فأكثر شبابنا يصرف أثمن ساعات حياته على الرياضة واللهو. ويسعى نحو بطولـــة في ميـــدان لعب كرة القدم مثلاً.. ويعيش صراعاً ومعركة بين الأندية وفي المباريات الرياضية بدلاً من المعركـــة الحقيقية التي يجب أن يخوضها دفاعاً عن مصلحة الأمة ورسالتها!؟

أما آن أن يعي شبابنا أبعاد المؤامرة، ويعرضوا عن اللهو واللعب، ويوجهوا اهتماماتهم وطاقاتهم نحو قضاياهم المصيرية؟

وكم لنا في تاريخنا المجيد من قدوات كرَّسوا شبابهم من أجل خدمة الرسالة ولبنـــاء مـــستقبل الأمة..

فهذا إمامنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) من حداثة سنه ونعومة أظفاره يضع نفسه تحـــت خدمة الرسالة الإسلامية، فقد كان أول الناس إسلاماً وتصديقاً بنبوة الرسول محمد صـــلى الله عليـــه وآله رغم أن عمره ما كان يتجاوز التاسعة.. ولما كان أطفال مكة بإيعاز من سفهائها يؤذون الـــنبي ويرمونه بالحجارة حينما يمر في الطريق.. كان على ابن العاشرة من العمر مرافقاً للرسول في طريقـــه يدفع عنه الأذى ويؤدب أبناء المشركين..

وفي ليلة الهجرة كانت قمة التضحية والفداء من علي الشاب المؤمن، فقد أحـــدق المـــشركون ببيت النبي يريدون الهجوم عليه فجراً واغتياله، فلا بد من خروج الرسول من داره مع إيهـــام القـــوم بوجوده في الدار لفترة يتمكن فيها من قطع طريق الهجرة وطلب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

من أخيه وابن عمه الشاب علي أن يقوم بدور التمويه على الأعداء، بأن يضجع على فراش الرسـول إلى الصباح حيث يهجم القوم..

ورغم خطورة المغامرة فقد بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر سيوف القوم وحرابهم، بكل ثقة وإقدام !!

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وآله على المدينة أصبح علي ممثله في مكة، يؤدي الأمانات، ويرد الودائع، ويرعى الحركة الإسلامية ويحمي عائلة الرسول صلى الله عليه وآله..

ثم هاجر مع عائلة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة، رغم معارضة المشركين ومطـاردقم له في الطريق..

وفي المدينة كان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله في كل أعماله ونشاطاته وحركاتـه، وعلى يديه كتب الله النصر للإسلام في جميع المعارك التي خاضها..

هكذا كرَّس علي شبابه في خدمة الرسالة، إلى أن أدركه الشيب واستشهد في سبيل الله تعالى.

وقد قال (عليه السلام) قرب وفاته وحق له أن يقول: " لقد نهضت بها وما بلغت العشرين، و ها أنا وقد ذرفت على الستين"[1].

الشاب: الثائر الشهيد

في الثامنة عشر من العمر حيث روعة الشباب وزهرة الحياة وكان يتمتع بجمال ساحر، وخلق نبيل مما جعله أشبه الناس خلقاً وخُلقاً بجده رسول الله صلى الله عليه وآله كما يقول أبـوه الإمـام الحسين (عليه السلام).

إنه علي بن الحسين الأكبر، الذي رآه أحد الشعراء فانسابت قريحته يقول:

لم ترَ عين نظرت مثله
من محتف يمشي ومن ناعل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى
أعني ابن بنت الحسب الفاضل
لا يؤثر الدنيا على دينه
ولا يبيع الحق بالباطل

[1] نهج البلاغة / خطبة رقم ٢٧.

كان هذا الشاب العظيم مرافقاً لأبيه الحسين (عليه السلام) في ثورته ضد الظلـم والطغيـان الأموي..

و لم يكن خروجه مع أبيه نوعاً من التعلق العاطفي أو الارتباط العائلي، بل كان عـن قناعـة وإيمان بالهدف، واندفاع للتضحية في سبيل الله..

ففي أثناء الطريق إلى ساحة النضال والفداء، يذكر المؤرخون أن لحظات من النوم أغمـضت عيني قائد الثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في إحدى ساعات السير، ولما انتبه الإمام كان يـردد: "إنا لله وإنا إليه راجعون".

وكان ولده على الأكبر إلى جانبه فسأله قائلاً:

يا أبتِ لم استرجعت لا أراك الله سوءاً؟

أجابه الإمام: يا ولدي خفقت خفقة فرأيت فارساً وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير بهم!

قال علي الأكبر: يا أبتِ ألسنا على الحق؟

وفوراً أجابه أبوه الإمام

بلى نحن والله على الحق.

قال علي الأكبر: إذا والله لا نبالي أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا !!

فالمسألة عنده ليست مسألة أبيه وإنما هي قضية الحق، وفي سبيل الحـق يهـون تحمـل الآلام واستقبال الموت..

وقد حاول المعسكر اجتذاب علي الأكبر إلى صفوفه، أو على الأقل فصله عن معـسكر أبيـه مستغلين وجود ارتباط نسبي بين علي الأكبر وبين يزيد بن معاوية الطاغية المتحكم في مصير الأمـة بالباطل، فأم علي الأكبر هي ليلى بنت أبي مرة بن عروة ابن مسعود الثقفي، وأمها ميمونة بنـت أبي سفيان أخت حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله، إذن فجدة علي الأكبر أخت معاوية وعمـة يزيد!!

فناداه بعض قادة جيش ابن سعد، أثناء المعركة وحين أصبح من الواضح أن مصير أصـحاب الحسين وأهل بيته هو القتل والشهادة، قالوا لعلي الأكبر: إن لك رحما بأمير المؤمنين يزيد ولا نريد بك سوءاً فهلمّ إلينا!!

ولكن علياً الشاب الثائر ما كان لينخدع بمثل هذه الإغراءات أو يستجيب لنـداءات الـسوء والخيانة، فرد عليهم فوراً بقوله: ويلكم لرحم رسول الله أولى بان تراعى من رحـم ابـن آكلـة الأكباد!

إنه يذكرهم بالقيم الباطلة التي اتخذوها بديلاً عن قيم الحق والرشاد.. فأصبحوا يقدسون السلطة الظالمة ويحترمون ارتباطاتها بينما يضربون بكرامة النبي وبحقوق أُسرته عرض الحائط..

وخاض معركة الجهاد في سبيل الله، وأبدى شجاعة أذهل بها الأعداء، الذين انتدبوا أشجع فرسانهم لمجابهته.. وأخيراً سقط الشاب العظيم صريعاً على أرض الشهادة ليكتب بدمه وصية لشباب الأجيال المؤمنة، أن يقوموا بدورهم في خدمة الرسالة، والدفاع عن مصالح الأمة.. أن يكونوا شباباً ثائرين يبحثون عن الشهادة في سبيل الله.. ولا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم..

أحاديث عن الشباب

فليتفقه الشباب:

عن الباقر (عليه السلام): "لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأوجعته"[1]. وفي خبر آخر "لأدبته"[2]

العلم في مرحلة الشباب

عن النبي صلى الله عليه وآله: "من تعلم في شبابه كان بمنزلة الرسم في الحجر"[3]. وعن الإمام علي (عليه السلام): "العلم من الصغر كالنقش في الحجر"[4].

الشباب يتفاعل مع القرآن

عن أبي عبد الله (عليه السلام): "من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله عز وجل مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة"[5].

---

[1] القمي : سفينة البحار : ج١ – ص٦٨٠.

[2] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٨.

[3] الكليني : أصول الكافي / ج٢ – ص٦٠٣.

[4] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٧.

[5] الكليني : أصول الكافي / ج٢ – ص٦٠٣.

أغتنم شبابك

في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر: "يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك. و فراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك"[1]

معاشر الشباب: اطلبوا الآخرة

قال سلام بن مسكين، قال لنا الحسن (عليه السلام): " يا معاشر الشباب علـيكم بطلـب الآخرة، فقد والله رأينا قوماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة، و والله ما رأينا من طلـب الـدنيا فأصاب الآخرة"[2]

الإمام المهدي يأتي شاباً

عن أبي عبد الله (عليه السلام): " لو قام القائم لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شاباً موفقـاً.. وأن أعظم البلية أن يخرج إليهم شاباً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً"[3]

الشباب أسرع إلى الخير

كان أبو جعفر الأحول من تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام)، وكان يعمل على نشر مبادئ الإسلام وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، سأله الإمام الصادق (عليه السلام) ذات يـوم: كيـف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟

قال أبو جعفر: والله إنهم لقليل.

فقال الإمام الصادق (عليه السلام): "عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير"[4].

بادر شبابك

عن الإمام علي (عليه السلام): " بادر شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك"[5]

---

[1] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٧ – ص٢٨٤.

[2] الإرشاد / ص٥٧.

[3] محمد الصدر : الغيبة الكبرى / ص١١.

[4] المجلسي : بحار الأنوار / ج٢٣ – ص٢٣٦.

[5] الآمدي : غرر الحكم ودرر الكلم / ص٢٣٨.

أيها الشباب: جدوا واجتهدوا

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " إن لله ملكاً يترل كل ليلة فينادي يا أبناء العشرين جدوا واجتهدوا"[1]

الفراغ الفكري للشباب

عن الإمام علي (عليه السلام): "وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شـــيء قبلته"[2]

تحصنوا بالعلم والأدب

عن الإمام علي (عليه السلام): "يا معشر الفتيان حصنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم"[3]

الشاب إما عالم أو متعلم

عن الإمام الصادق (عليه السلام): "لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حـــالين، إما عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فرَّط ، فإن فرّط ضيّع، فإن ضيّع أثم، وإن أثم سكن النار والذي بعث محمداً بالحق"[4]

الشاب يجهد نفسه

عن الإمام علي (عيه السلام): "من لم يجهد نفسه في صغره لم ينبل في كبره"[5]

في الشباب أحسن

عن النبي صلى الله عليه وآله": "التوبة حسنة لكنه في الشباب أحسن"[6]

---

[1] النوري : مستدرك الوسائل / ج٢ – ص٣٥٣.

[2] المجلسي : بحار الأنوار / ج٧٧ – ص٢٠٠.

[3] فلسفي : جوان / ص١٩٤.

[4] المجلسي : بحار الأنوار / ج١ – ص١٧٠.

[5] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٣٥٢.

[6] مجموعة ورام / ج٢ – ص١١٨.

من يعرف فضل الشباب

عن الإمام علي (عليه السلام): " شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما: الشباب والعافية"[1]

ستسأل عن شبابك

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: " إن العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه"[2]

أين ضيعت شبابك

عن الصادق (عليه السلام): "كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع:

شبابك فيما أبليته؟

وعمرك فيما أفنيته؟

ومالك مما اكتسبته؟

وفيما أنفقته؟[3]

شباب في ظل الله

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العدل، وشاب نشأ في عبادة الله.. "[4]

الشاب التائب

عن النبي صلى الله عليه وآله: "ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب وما من شيء أبغض إلى الله تعالى من شيخ مقيم على معاصيه"[5]

---

[1] الآمدي : غرر الحكم ودرر الكلم / ص٣٠٢.

[2] مرتضى فريد : روايات من مدرسة أهل البيت (ع) / ج١ – ص٣٥٥.

[3] الكليني : الكافي / ج٢ – ص١٣٥.

[4] المجلسي : بحار الأنوار / ج٨٤ – ص٢.

[5] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٨.

وعنه صلى الله عليه وآله: " إن الله يحب الشابّ التائب"[1]

المبادرة لتوعية الشباب

عن الإمام الصادق عليه السلام: ((بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة))[2]

أقطاب التخلف يعزلهم الشباب

عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): "يا معشر الأحداث اتقوا الله ولا تأتوا الرؤساء ودعوهم حتى يصيروا أذناباً"[3]

الشباب يتحالفون مع النبي صلى الله عليه وآله

عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: "أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة، وإن الله بعثني بشيراً ونذيراً فحالفني الشبان، وخالفني الشيوخ، ثم قرأ: فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم"[4]

بالعلم يستعدون للسيادة

عن الإمام علي (عليه السلام): "تعلموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً"[5]

إذا أردت التقدم

عن الإمام علي (عليه السلام): "من لم يتعلم في الصغر لم يتقدم في الكبر"[6]

ماذا يتعلم الشباب

عن الإمام علي (عليه السلام): "أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث، الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها"[1]

---

[1] المصدر السابق.
[2] الكليني : فروع الكافي / ج٦ – ص٤٧.
[3] الفلسفي : جوان / ج٢ – ص٦٦.
[4] مرتضى فريد : روايات من مدرسة أهل البيت (ع) / ج١ – ص٣٤٩.
[5] فلسفي : جوان / ص٤٠٠.
[6] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٣٥٢.

تحذير من انحراف الشباب

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبابكم، و لم تأمروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنكر"[2]

التوجيه في مرحلة الشباب

جاء في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): "وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك منه ما ربما أظلم علينا فيه"[3]

الشباب قد يكون سكراً

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): " أصناف السكر أربعة: سكر الشباب، وسكر المال، وسكر النوم، وسكر الملك"[4]

الشباب وخطر الانحراف

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): "وقد تأتي عليه (أي الإنسان) حالات في قوته وشبابه يهم بالخطيئة فتشجعه روح القوة، وتزين له روح الشهوة، وتقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة، فإذا لامسها تفصّى من الإيمان، و تفصّى الإيمان منه"[5]

المنزلة وحداثة السنّ

عن نبي الله أيوب (عليه السلام): " إن الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير فإذا جعل الله العبد حكيماً في الصِّبى لم يضع منزلته عند الحكماء حداثة سنه وهم يرون عليه من نور الله وكرامته"[1]

---

[1] فلسفي : جوان / ج٢ – ص٤٠١.

[2] الحراني : تحف العقول / ص٤١.

[3] المجلسي : بحار الأنوار / ج٧٧ – ص٢٠٠.

[4] الحراني : تحف العقول / ص٨٨.

[5] المصدر السابق / ص١٣٤.

يباهي الملائكة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن الله تعالى يباهي بالشاب العابد الملائكة يقول: انظروا على عبدي: ترك شهوته من أجلي"[2]

فضل الشاب العابد

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "فضل الشاب العابد الذي تعبّد في صباه على الشيخ الذي تعبّد بعدما كبرت سنّه كفضل المرسلين على سائر الناس"[3]

أهرم شبابه في طاعة الله

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: " ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً"[4]

أحب الخلائق إلى الله

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "أن أحب الخلائق إلى الله عز وجل شاب حدث السنّ في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته، ذلك الذي يباهي به الرحمن ملائكته، يقول: هذا عبدي حقاً"[5]

الله يحب الشابّ

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "أن الله يحب الشابّ الذي يفني شبابه في طاعة الله" [6]

---

[1] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٧.
[2] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٩.
[3] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٩.
[4] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٩.
[5] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٩.
[6] الري شهري : ميزان الحكمة / ج٥ – ص٩.

المحتويات